

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص:

دراسة وصفية تحليلية

Toni Pransiska
UIN Sunan Kalijaga
E-mail: tonyelnoory@gmail.com

Abstrak

Ibnu Jinny (Mosul, 322-329 H) merupakan salah satu linguist Arab (*lughawiyun*) yang sangat menguasai multidisiplin kelimuan Islam. Melalui *masterpiece*-nya “Al-Khash ish”, Ibnu Jinny mencoba membawa wacana dan diskusi-diskusi linguistik Arab dari yang semula terfokus pada perdebatan nahwu dan fanatisme mazhabnya kepada kajian-kajian yang lebih umum dan komprehensif. Bahasa, dalam pandangan Ibnu Jinny, bukan merupakan murni entitas rasional tetapi memiliki dimensi sosial, karena itu, metode, teori dan pendekatan yang digunakanpun harus menggabungkan keduanya. Jika teori linguistik Barat modern memfokuskan obyek kajiannya pada empat unsur penting seperti; fonetik, sintaksis, morfologi dan semantik, maka sesungguhnya tradisi linguistik Arab, meskipun belum tersistem secara terpadu jauh mendahului kajian mereka seperti yang dilakukan oleh Ibnu Jinny. Bahkan pendekatan sosiologis atau yang lain dapat ditelusuri dan dicari akarnya dari teori-teori Ibnu Jinni dan para ahli bahasa generasi setelahnya.

Kata Kunci: *Ibnu Jinny; Pemikiran Lingistik Arab; Kitab Khash ish*

Abstract

Ibn Jinny (Mosul, 322-329 H) one of Arabic linguist was very multitalented and multidisciplinary master in Islamic scholarship. Through his masterpiece “Al-Kh shaish”, Ibnu Jinny tried to read discourse and discussion from the original Arabic linguistics that focused on the debate nahwu and fanaticism of his Mazhab in to studies of a more generally and comprehensively. Language, according to Ibn Jinny, is not a purely rational entity but a social dimension, therefore, methods, theories and approaches were used also must necessarily incorporate both dimensions. If the linguistic theory of Modern West focused on object of studies to four important elements such as; Phonetics (‘Ilm al-Ashw t), Morphology (Sharf), Syntax (Nahw) and Semantics (‘Ilm al-Dil lah), then the Arabic linguistic tradition - as Ibn Jinny’s study - has led Western Linguist studies. Even the sociological approach or another we can browse and look for the roots of the theories of Ibn Jinni and linguists generations thereafter.

Keywords: *Ibnu Jinny; Arabic Linguistic Thought; al-Khash ish*

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

مستخلص

ابن جنى (الموصل، 322-329 هـ) هو واحد من أكثر اللغويين العرب موهوبين (لوغاويون) ويسيطر على الإسلام متعدد التخصصات. يحاول ابن جنى، من خلال كتابه "الخصائص"، جلب الخطابات والمناقشات اللغوية العربية من الأصل، وتركز على النقاش النحوي والمتعصب في مدرسته إلى دراسات أكثر شمولية وتكاملية. اللغة، في قول ابن جنى، وليس كيانا عقلانية بحتة ولكن لديه البعد الاجتماعي، وبالتالي، الطرق والنظريات والمناهج المستخدمة ويجب أيضا أن الجمع بين بالضرورة الاثنين. إذا كانت نظرية الكائن اللغوي الغربي الحديث دراساته تركز على أربعة عناصر هامة مثل: من الناحية الصوتية، من الناحية التركيبية، شكليا ودلاليا، فإن التقاليد اللغوية العربية الفعلية، وإن لم تكن منظمة حتى الآن بطريقة متكاملة تسبق دراستهم كما فعل ابن جنى. حتى التوجه الاجتماعي أو بأخرى يمكننا تصفح والبحث عن جذور نظريات ابن جنى واللغويين أجيال القادمة.

الكلمات الرئيسية: ابن جنى؛ الأفكار اللغوية العربية؛ الخصائص

مقدمة

فإن اللغة العربية من أشرف اللغات وأعلاها مكانة فيها نزل القرآن الكريم الذي زاد من رفعتها وانتشارها في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حيث صارت لغة التواصل والحوار، ولغة العلم والتفكير. ولقد أرسى قواعد هذه اللغة علماء أجلاء تفرغوا للغوص في أعماقها من أجل الحفاظ عليها، ورفع صرحها، ومن بين هؤلاء العلماء، العالم الفذ أبو الفتح عثمان بن جنى.

فقد أفاد ابن جنى اللغة العربية بالكم الهائل من المصنفات القيمة، التي لا يستغني عنها اللغويون في حياتهم. لذا فإن الحديث عن ابن جنى، والتعريف به، ومعرفة ما ألفه في مجال اللغة، والأبواب التي طرقها في هذا المجال، وما تفرد به، وما تابع فيه من سبقه. لغاية في الأهمية. ومن خلال ذلك تتجلى عبقريته، وحذقه باللغة ليكون واحداً من أهم العلماء والمعلمين في هذا المجال. إن هذه النقطة الأخيرة التي سيكون موضوع هذه المقالة.

الفصل الأول: ابن جنّي - حياته وثقافته وأثره

أ. اسمه ونسبه ومكانه

ولد أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي في حدود سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة في الموصل (Mosul).¹ ولا يذكر المترجمون له نسبا من وراء هذا، وكان أبوه "جنّي" مملوكا روميا لسليمان بن فهد احمد الأزدي الموصلي. وقال ابو بكر المصحفي: "قال لي ابو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني - رحمه الله - جنّي - والد عثمان - رجل تركي جندي شتيم الوجه وحشي الصورة لاعلم عندخ ولا فهم وانجب بابنه عثمان وكان عثمان أشقر أعور في صورته بعض التركية.

"و"جنّي" بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها وسكون الياء علم رومي وهو معرب كني أو معرب جنائيس. و"جنّي" تكتب بالحروف اللاتينية ممثلة للفظ اليوناني (Gennaius) ومعناها كريم، نبيل، جيد الفكر، عبقرى، ملخص. وذكر ابن السمعاني في (الأنساب) فقال: "وحكى لي اسماعيل بن المؤمل النحوي إن أنا الفتح كان يذكر أن أباه كا فاضلا الرومية وظاهر أنه يترجم لفظ "جنّي" وهو ينطبق على ما ذكره الأستاذ النجار.²

والموصل كان شأن البلد الذي ولد فيه ابن جنّي. أما البلد الذي توفي فيه فهو بغداد،³ عاصمة الخلافة العباسية وموئل العلماء والفقهاء والشعراء. لقد كان (العراق

¹ وفي هذا البلد العريق نشأ صاحبنا وترعرع وأخذ العلم عن مشايخه. فقد كانت الموصل في زمانه حاضرة من حواضر العالم الاسلامي التي يشار إليها في العلم وكثرة المشايخ. يقول المقدسي وهو يتحدث عن الموصل: (بلد جليلو حسن البناء وطيب الهواء وصحيح الماء وكثير الملوك والمشايخ لا يخلو من اسناد عال وفقه مذكور. هذا البلد كان يضم الكثير من دور العلم والمكتبات في المساجد وخارجها (زيد بدور العلم المكتبات العامة التي انشئت خارج المدارس والجامعات لتسهيل المطالعة والانتساع وتيسيرهما للراغبين في العلم، وخاصة لغير القادرين منهم على اقتناء الكتب بسبب غلائها وندرتها في تلك العصور. ولذلك سارع الاغنياء والعلماء والامراء والوزراء الى تأسيس دور عامة للكتب، اطلق عليها (دور العلم) فكانت معاهد عامة للدرس والانتساع والترجمة والتأليف، تختلف عن الخزانة الخاصة. انظر حسام سعيد النعيمي، *ابن جنّي عالم العربية*، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990)، ط1، ص. 13-14.

² فاضل صالح السامرائي، *ابن جنّي النحوي*، (بغداد: دار النذير، 1989)، ص. 22.

³ وفي البغداد كما في الموصل كانت هناك (دور علم) منها دار العلم بالكرخ التي أنشئت سنة 381 للهجرة (ولم يكن في الدنيا أحسن كتبها وكانت كلها بخطوط الائمة المعترية وأصولهم المحررة وقد وقف عليها ابو نصر الوقوف ونقل إليها كتب كثيرة مما ابتاعه وجمعه. وعمل لها

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

في العصر العباسي أهم مكان للحركة العلمية في الدنيا لاسيما بغداد التي حصلت على سهرة علمية واسعة لا تدانيها في ذلك شهرة مدينة من مدن الانبراطورية العباسية، إنه في العلوم الاسلامية والعربية او في نقل العلوم الاجنبية. إن العراق في العصر العباسي كان يموج بالأطباء والفلاسفة والمنجمين من الشعوب المختلفة حتى ليزيد عدد المترجمين على المئة.

ب. معاصروه وسيوخته وتلاميذه

كان القرن الرابع كما تقدم حافلا بالعلماء الذين بقيت اسمائهم خالدة بما خلفوه لنا من آثار، ومن أشهر هؤلاء ممن عاصر ابن جنى غير من سيرد ذكره في سيوخته وهم:

1. احمد بن فارس: اللغوي صاحب التصانيف الكثيرة الجليلة. ومن اشهرها معجمه المحمل والمقاييس وكتابه: الصحاحي في فقه الله وسنن العرب في كلامها، توفي سنة 394 هـ.
2. اسماعيل بن حماد الجوهري وهو لغوي من أئمة العربية اشهر تصانيفه معجم الصحاح توفي سنة 368 هـ.
3. اسماعيل بن عباد والمعروف بالصاحب. وزير غلب عليه الأدب له تصانيف جليلة منها معجمه المحيط، توفي سنة 385 هـ.
4. الحسن بن بشر الأمدي وهو عالم بالأدب، رواية من الكتاب ومن أشهر تصانيفه: الموازنة بين البحترى وابي تمام، والمؤتلف والمختلف توفي سنة 370 هـ.

فهرستا، ويذكر ابن الجوزي وابن الأثير أن عدد كتبها بلغ أكثر من عشرة آلاف مجلد. وترد في رواية اخرى عشرة آلاف مجلد وترد في رواية اخرى عشرة آلاف ورابعمئة مجلد. انظر حسام سعيد النعيمي، ابن جنى عالم العربية... ص. 15

5. الحسن بن عبد الله السيرافي وهو نحوي عالم بالأدب ومن أشهر كتبه: شرح كتاب سيويه واخبار النحويين البصريين توفي سنة 368.

6. أبو هلال العسكري وهو من علماء الأدب واللغة وله كتب جلييلة من أشهرها: الفروق في اللغة وجمهرة الامثال وكتاب الصناعتين النظم والنثر. توفي بعد سنة 395.

وهناك بعض علماء اللغة الذين يعاصرون عالمنا ابن جني منهم علي بن عيس الرماني (ت: 384 هـ) وعلي بن محمد التوحيدي (ت: 400 هـ) ومحمد بن احمد الازهري (ت: 370 هـ) ومحمد بن الحسن الحاتمي (ت: 388 هـ) ومحمد بن عمران المرزباني (ت: 384 هـ).

وحرص علماء العربية على الوصية بأخذ العلم من أفواه الرجال وترك الأخذ عن الصحف من غير شيخ. فهذا ابو حمزة الزيات يأمر ولده بالأخذ من أفواه الرجال فيقول: (دع المصحف وتلقن من افواه الرجال) وقد كان يقول: (لا تأخذ القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي). وهكذا نجد ابن جني بصحبه أكثر من شيخ يأخذ عنه العلم ويذكر في احيان كثيرة سلسلة السند في رواية ما يأخذه عن شيوخه. وكان أكثر هؤلاء الشيوخ أثرا فيه شيخه أبا علي النحوي. وكان ابن جني امينا فيما يروييه عن شيوخه وحريصا على ذكر عباراتهم بنصها إذا امكنه ذلك، وإلا اشار إلى أن هذا معنى ما قاله فلان. انظر إلى قوله: (كذا عهد إليّ أبو علي رحمه الله في هذا...وهذا لفظه لي فيه البتة). وقوله: (هذا محصول من معنى أبي علي، فأما نفس لفظه فلا يحضرنى الآن حقيقة صورته).

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

وقد أخذ بسلسلة السند من شيوخه عن كبار علماء العربية الذين تقدموه. وأكثر أخذه كان من شيوخه أبي علي الفارسي النحوي⁴، ولعل مرد ذلك إلى كثرة ملازمته له، ثم عن شيخه ابن مقسم ثم عن آخرين كانوا أقل اثرا فيه من هذين. وممن استفاد منهم ابن جنى أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم أحد قراء بغداد كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب (ت: 354هـ) فقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش. وقرأ ابن جنى على أبي الفرج الأصفهاني، وروى عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني، وروى أيضاً عن محمد بن سلمة عن أبي العباس المبرد ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم اللغة، وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي، وقد يذكره ابن جنى باسم أبي عبد الله الشجري.⁵ وكثير من شيوخه الذي تلقى هو معهم. ومن المعروف أن ابن جنى بدأ حياته في التدريس شاباً يافعاً في الموصل ثم انقطع إلى أبي علي النحوي يأخذ عنه. ومن أشهر من أخذ عنه: عمر بن ثابت الثماني وعبد السلام بن الحسين البصري والحسين بن أحمد وأبو الحسن السمسس وعلي بن زيد القاشاني النحوي وثابت بن محمد الجرجاني والشريف الرضى والمتنبى وغيرهم من تلاميذه الجليلة.

ج. ثقافته وآثاره ومذهبه النحوي والفقهي

كان ابن جنى كصير الاتصال بالعلماء فاخذ عنهم ووعي ما أخذ. وكان أكثرهم أثراً فيه أبا علي الفارسي النحوي كما تقدم. وقد ظهر أثر شيوخه فيما كتب في النحو واللغة والتصريف والعروض والقراءات وغير ذلك. وهو على ما في

⁴ وقد أخذ ابن جنى عن أبي علي الفارسي وأحسن الأخذ عنه، وهو الذي أحسن تحريجه وفتح له البحث. وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة ٣٣٧ هـ ولازمه في السفر والحضر. انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت) ج 11، ص.

⁵ شريدة الشريبي، مقدمة الخصائص (القاهرة: دار الحديث، 2008)، ص. 10.

كتاباتته من الروح العلمي والاتزان في الرد على الآراء المخالفة. قد يقسو في رده احيانا. وعلي شدة الوضوح في عبارته قد يضطرب فيها حتى يوقع قارئه في الوهم. أما مذهبه النحوي فقد كان بصريا.⁶ كان ابن جني حنفي المذهب، فتراه ينصر الحنفية على الشافعية ولم يعرف عن ابن جني أنه كان شيعياً، وإن كان الظاهر من أمره ذلك، والأظهر أنه إنما كان يصانعههم، وكان من دواعي مصانعته لهم أن كان ذوو السلطان من آل بويه منهم، وهو كان متصلاً بهم صلة قوية وكان البويهيون يحرصون على إظهار شعائر الشيعة⁷.

واثر ابن جني في كتب المتقدمين تناوله الدكتور فاضل السامرائي بما يغني عن الاعادة بعد أن قال: (من يطلع على المجمعات وكتب اللغة وكتب أصول النحو وكتب التصريف يجد أثر ابن جني واضحاً فيها، وكأن كتبه كانت المعين لها).⁸ أما أثره في كتب المحدثين فسوف ترد في هذه الرسالة احالات كثيرة على كتب حديثة في اللغة واللهجات والأصوات والقراءات فيها ذكر لأراء ابن جني ومذاهبه مما يجعل إيرادها في هذا الموضوع من التكرار المرغوب عنه. وقال د. فاضل السامرائي: لكي اكتفي ههنا بالقول ببناء علي ما قرأته وما بين يدي من جذازات: إننا لانكاد نجد كتابا حديثا في القراءات أو اللغة أو اللهجات أو الأصوات يخلو من ذكر ابن جني وآرائه.

⁶ كان دكتور فاضل السامرائي في كتابه: ابن جني النحوي قد انتهى بأدلة كثيرة إلى أن ابن جني بصري المذهب حسب لا بغدادي ولا كوفي. ثم زعم دكتور عبد الفتاح الدجني بعد عشر سنوات من ظهور دراسة د. فاضل ان ابن دني لم يكن بصريا من غير أن يعرض لاسقاط الآراء التي وردت في كتاب ابن جني النحوي أو مناقشتها. فقال د. الدجني: (هذا باحث آخر يرى أن ابن جني كان شيخه أبي علي بصريا والحقيقة أن كلا العالمين بغداديان). انظر فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي... ص. 38-39.

⁷ شريدة الشربيني، مقدمة الخصائص... ص 19

⁸ فاضل صالح السامرائي، ابن جني النحوي... ص. 82.

ترك ابن جنى لاجيال بعده من مصنفاته ما بلغ 67 على ما أحصاه د. السامرائي، بين ووسيط ووسيط، منها ما هو مطبوع ومنها ما ذكر المفهرسون مكان وجوده وما لا نجد له ذكرا في فهارس المخطوطات ولا يعني هذا فقدان القسم الثالث فمازالت المكتبات الشخصية تزخر بنوادير المخطوطات. ومن مؤلفاته هي:

الخصائص - التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري - سر الصناعة - تفسير تصريف المازني - شرح المقصور والممدود لابن السكيت - تعاقب العربية - تفسير ديوان المتنبي الكبير، ويسمى الفسر - تفسير معاني ديوان المتنبي، وهو شرح ديوان المتنبي الصغير - اللمع في العربية - مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي - مختصر العروض والقوافي - الألفاظ المهموزة - المقتضب - تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب (ذكر أنه لم يتمه) وغيرها من كتبه الملهمة لكثير الأجيال بعده.

كان توفي في بغداد، وفي خلافة القادر، وتحديدًا يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة رحل ابن جنى عن دنيا الناس، تاركاً مؤلفاته وذخائره العلمية تتحدث عنه وتحييه بينهم من جديد.⁹

الفصل الثاني: الحالات والموافق في عصره: لمحة تاريخية

(1) الحالة الاجتماعية والسياسية

وهذا القرن - يعنى القرن الرابع الهجري - أصيب العالم الاسلامي بانقسام كبير حتى كأنه عقد انفراط أو صخرة تفتتت ونشأت فيه دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض وقد تم ذلك في حدود سنة 324هـ. وقد تغلب كل رئيس على ناحيته وانفراد بها فصارت فارس والري واصبهان وهمدان في ايدي بني بويه، وكرمان

⁹ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (بيروت: دار الثقافة، 1988) ص. 248

في يد محمد بن الياس، والمغرب وافريقية في يد الفاطميين، وخرسان في يد نصر بن احمد الساماني، والأهواز و واسط والبصرة في يد البريديين واليمامة، والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان (318-391)، ومصر والشام في يد ابن (طغج) الأخشيد وهو من موالي آل طولون ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها.¹⁰ لذلك تعرض الكثير من الخلفاء للخلع والإذلال، ولم يكن الخليفة معهم إلا بالاسم، فعثت العامة في الأرض الفساد وتفاقم شر اللصوص وانتشرت الفوضى المنازعات وساءت الأحوال.¹¹

(2) الحالة العلمية و الحالة الدينية

هذا التردّي الذي سبق لم يؤثر في الحالة العلمية، فالعالم الإسلامي في هذا القرن كان أعلى شأنًا في العلم من القرون التي كانت قبله، فقد تم في هذا العصر امتزاج الثقافات، وأخذ الخلفاء يشجعون الطب والتنجيم، كما نفذ العلماء إلى أبواب الفلسفة والرياضيات، ويقتبس علماء كل علم من الفلسفة اليونانية ليفلسفوه من دين ونحو وصرف وبلاغة وغير ذلك.

وعنى الأمراء والعلماء بجمع الكتب وتأليفها، وأنشئت في هذا العصر الكثير من دور الكتب والمؤسسات العلمية في المدن كالبصرة والموصل ونيسابور ورام هرمز وغيرها¹². وبرزت في هذا القرن أسماء لامعة في شتى ميادين العلم والأدب كالطبري والمتنبي والفاربي والاصفهاني وابن النديم وابي الوفاء الفلكي والرياضي والجراح ابي

¹⁰ فاضل صالح السامرائي، ابن جنّي النحوي... ص. 7-8

¹¹ شريدة الشرييني، مقدمة الخصائص... ص. 247

¹² انظر سليمان سالم علي، ابن جنّي وجهوده اللغوية والنحوية . بمن: جامعة العلوم والتكنولوجيا، 2010، مشروع خطة بحث تخرج،

غير مطبوع ومنشور. ص. 26-27

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

القاسم والاشعري. وبرز فيه اعلام الادب والعربية والفن كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني وابن العميد وابي هلال العسكري والأزهري صاحب التهذيب وابن فارس صاحب المحمل وابي علي القالي صاحب الأمالي والجوهري صاحب الصحاح وابن خالويه وابي فراس الحمداني وكشاجم ةالسرى الرفاء والشريف الرضى والسلامى وألو أواء الدمشقي وابن السري السراج وابو بكر محمد بن القاسم الانباري وابو القاسم الزجاجي وابو سعيد السيرافي وابو علي الفارسي وعلى بن عيس الرمان وابن جنى وابراهيم الفاربي مؤلف ديوان الادب وغيرهم من العلماء البارزة في هذ عصره.

في مطلع هذا القرن نكصت حركة الاعتزال التي ازدهرت في العصر

العباسي الاول وكان لظهور أبي الحسن الاشعري الذي كان معتزليا أول أمره ثم خرج عليهم بعد أن تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها والتي حارهم بها بقية حياته أثر كبير في هذا النكوص وكان للكتب التي ألفها شأن كبير في رد المعتزلة بعد أن كانوا رفعوا رؤوسهم فحجرهم الاشعري في اقماع السماسم.¹³ وكان الخلفاء

العباسيون في الاعم الاغلب من اهل السنة الذين يقاومون الاعتزال. وقد تدخل القادر بالله في أمر العقائد فعمل كتابا (فيه الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث وأورد في كتابه فضائل عمرين عبد العزيز وأفكار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن وكان الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي ويحضر الناس سماعه.¹⁴

وكان أكثر اهل بغداد سنين يحترمون الشيخين وعثمان وعلياً. فلما جاء البوهيون شجعوا التشيع ورسموا للناس مراسم ينوحون فيها ويلطمون وجوههم يوم عاشراء. ويتهجون باظهار الزينة واشعال النيران بعيد الغدير غدیرخم. وكان

¹³ ابن خلکان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان... ص. 447

¹⁴ فاضل صالح السامرائ، ابن جنى النحوي... ص. 17-18

البويهيون شيعة زيدية لا يعترفون بحق العباسيين لحكم العالم الاسلامي. وأراد معز الدولة إزالة الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية مكانها ولكنه عدل عن ذلك لاعتبارات سياسية. وخلاصة القول إنه كما تقاسمت المملكة الاسلامية العناصر النجسية المختلفة كذلك تقاسمتها المذاهب والطوائف الاسلامية المختلفة.

الفصل الثالث: ابن جنى والعربية

1) منزلة العربية في نفسه غيرته عليها

والعربية في نفسه لغة شريفة وحكيمة ومتقنة الصنعة وكريمة لطيفة أهل لأن يتعجب مذاهبها الواسعة وبديع ما فيها من اسرار. حيث قال: (ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ويعجب من وسيع مذاهبها وبديع ما أمد به واضعها ومبتدئها بل هي لغة لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها. ومن طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها).

والعربي أهل لحمل هذه اللغة الشريفة لما في طبعه من قبول لها وما يتمتع به من لطف الحس ونصاعة جوهر الفكر ونقائه لم تؤتوا هذه اللغة الشريفة المنقادة الكريمة إلا ونفوسهم قابلة لها، محسة لقوة الصنعة فيها، معترفة بقدر النعمة عليها بما وهب لهم منها.

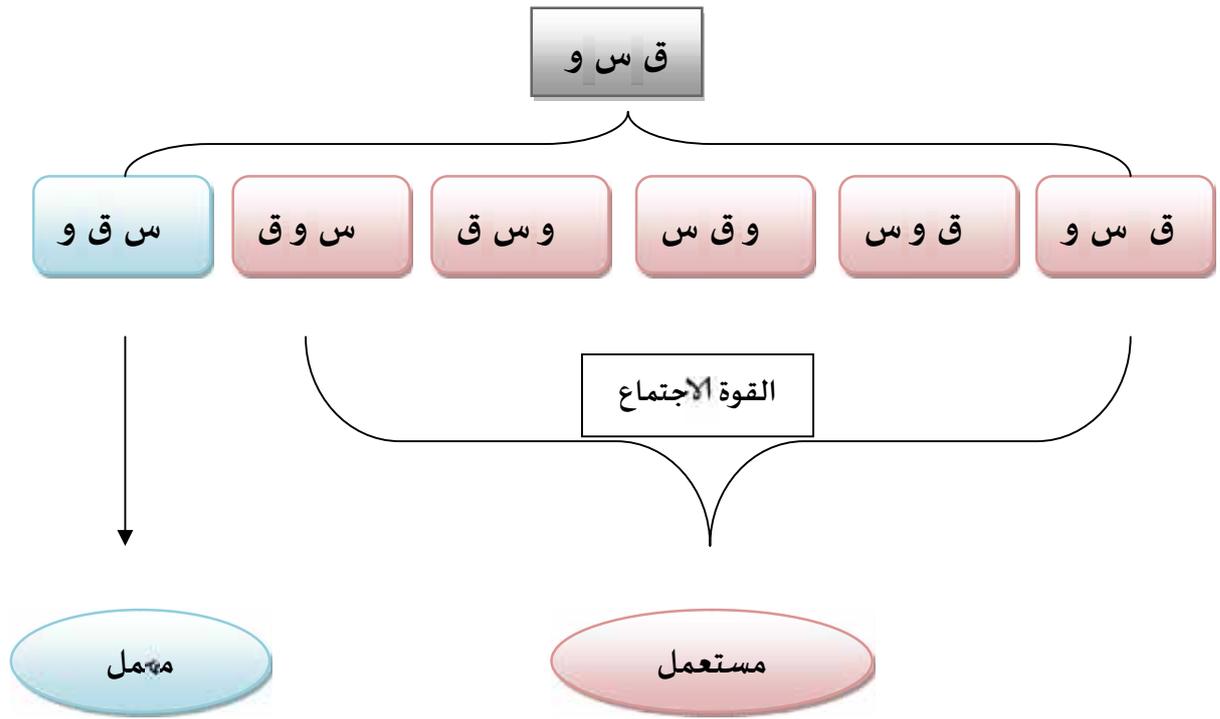
وهذه العربية الحبيبة إلى نفسه التي تقدمت أوصافها عنده لا تقترب منها اللغة لا عجمية ولا تدانيها، ولو أدرك الأعاجم (غير العرب) ما في العربية من لطف الصنعة والرقة والدقة لما نوهوا بلغتهم أمام العربية، فضلا عن القول بتقديم لغتهم عليها. ومن غيرته على هذه اللغة الكريمة حرصه على القول بعربية بعض ما عده غيره من المعرب كما صنع في لفظ "المسك" حيث نص عليها أنها من المعربات. وأثبت ابن جنى عربي بالاشتقاق. وقال في المسك: وكذا تجد أيضا معن المسك، وذلك أنه (فعل) من امسكت الشيء وكأنه يطيب رائحته يمسك الحاسة عليه.

(2) نظرية الاشتقاق (*Derivation Theory*)

تتكون العربية في دجهور الفاظها من ثلاثة أصوات: صامتة و غير الصوائت (أو ان شئت من ثلاثة حروف غير الحركات) شأها في ذلك شأن بقية اللغات الجزرية (السامية) اذ هي جميعا ثلاثية الاصول. ويرى ابن جنى أن أصوات الاصل الواحد الصامتة (الحروف) يمكن نظريا أن تؤدي إلى ستة أصول تستعمل العرب منها ما تستعمل وهمل ما تحمل. فالكاف والتاء والباء، مثلا يمكن أن تولد منها (كتب) و (كبت) و (تكب) و (تبك) و (بتك) و (بكت). وهذا الجزء من عمله كان الخليل بن احمد الفراهيدي قد قام به قبله في كتابه (العين) حين قلب الأصول. وذكر المستعمل منها والمهل. إلا أن الذي جاء به ان جنى زيادة على الاستفادة من طريقة الخليل في (التقليب) هو قوله إن هذه الاصول يختص كل منها بمعناه الذي استعمل فيه ولكنها جميعا تلتقي في معنى عام جامع يضم الاصول الستة.

فالقاف والواو واللام تدل على القوة والشدة وهكذا على ان لكل أصل معناه الخاص به. هذا تفسيره لما سماه: الاشتقاق الاكبر. وأما الاشتقاق الاكبر فهو أن تأخذ أصلا من الاصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، وتجمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه. وان تباعد شئ من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه. كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. ومن ذلك تقليب أو التركيب (ق س و) (ق وس) (وق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل (س ق و). وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع. منها: القسوة وهي شدة القلب واجتماعه.¹⁵

¹⁵ انظر ابن جنى، الخصائص الجزء الثاني (القاهرة: المكتبة العلمية، دت) ص: 133-138



شكل عن نموذج التركيب في نظرية الاشتقاق

الفصل الرابع: ابن جني والخصائص: رؤية تحليلية

أ. أهمية كتاب الخصائص

يُعد أبو الفتح عثمان بن جني واحداً من أكبر علماء العربية؛ ألف نحواً من خمسين كتاباً في فروع اللغة المختلفة، يحتل كتابه "الخصائص"¹⁶ مكان الصدارة فيها؛ حتى إن ابن جني لا يكاد يذكر إلا مقروناً بكتابه الخصائص كما يقرون سيبويه

¹⁶ يقدم ابن جني الخصائص إلى إمام الدولة الذي تولى الملك في بغداد مع الخوض للخليفة العباسي سنة 379 إلى سنة 403 هـ. وذلك إذ يقول في ديباجة الكتاب: هذا - أطل الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيد إمام الدولة وضيء الملة وغيث الأمة وأدام ملكه ونصره وسلطانه ومجده وتأييده وسموه وكبت شائنه وعدوه - كتاب لم أزل على فارط الحال وتتقام الوقت.... "ويبين من هذا أنه ألف الخصائص بعد أستاذه أبي علي الذي كانت وفاته سنة 377 وتراه يقول في الخصائص في مبحث الاشتقاق الأكبر: "غير أن أبا عيل - رحمه الله - كان يستعين به...." البيان المستمر راجع إلى ابن جني، الخصائص الجزء الأول (القاهرة: المكتبة العلمية، دت) ص. 69

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

"بالكتاب". والحق أن "الخصائص" يمثل علامة متميزة في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب؛ إذ قدم فيه صاحبه منهجا لم يكن معهودا من قبل، وناقش قضايا لغوية لا تزال تمثل عناصر علمية رئيسية في الدرس اللغوي الحديث¹⁷.
كان العلماء يتوفرون في كتبهم على جانب من جوانب اللغة؛ في الصرف أو في النحو أو في المعجم. وجاء ابن جنى يشق طريقا جديدة؛ إذ أراد أن يعرض للقضايا العامة في اللغة على "مذهب أصول الكلام والفقهاء"؛ فجاء كتاب الخصائص مشتملا على رؤى "نظرية" عن اللغة؛ تعريفها، ونشأتها، وتنوعها، ومشتملا كذلك على قضايا "منهجية" عن حجية اللغة وطريقة جمعها وتصنيفها، وعن القياس، والسمع، والاستحسان، والتعليل، والأصلية والفرعية¹⁸.

ثم هو يشتمل على مستويات التحليل اللغوي؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. على أن دراسة الدلالة عنده قد تكون أوسع دراسة في كتب اللغة حتى القرن الرابع، نجده يتوفر فيها على جوانب صارت تكون عناصر مهمة في معرفة "المعنى" عند القدماء كالاقتناع الأكبر، والحقيقة والمجاز، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وغير ذلك مما يكاد يكون منسوباً إلى ابن جنى في الخصائص¹⁹.

ب. مستويات الدرس اللغوي في "الخصائص"

والجدير بالذكر هنا: أن ابن جنى، في طريقه لتأصيل المباحث اللغوية في كتابه الخصائص، اضطر إلى التطرق إلى تحليل جميع مستويات اللغة؛ حتى وصل من خلال مائة وأثنين وستين (162) باباً - إلى قواعد تأصيلية، وأخرى استدلالية كلية، والتي قد لا تنحصر على اللغة العربية فحسب، بل يتعداها إلى نظريات عامة حول لغات العالم.

¹⁷ عبد الراجحي، كتاب الخصائص لابن جنى، انظر في <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=319546>.

الوصول إليه إبريل 2016.

¹⁸ المرجع نفسه

¹⁹ المرجع نفسه

ولعلنا بعرض هذه الأبواب مرتبة حسب مستويات التحليل اللغوي، قد يضيف على جهود ابن جني المزيد من الإيضاح والتسهيل. ولكن مع ذلك لم يقتصر في كتابه الخصائص على هذه مستويات اللغة الأربعة فحسب، بل تعداه إلى مسائل منطقية فلسفية للغة، والتي قد توضح طبيعة اللغة وكنهها، وعلاقة عناصرها ببعضها، وبهذا يكون ابن جني غير مقيد بالجوانب الشكلية باللغة، بل ألحق بها جوانب منطق اللغة.²⁰

1. الموضوعات المتعلقة بالمستوى الفلسفي التاريخي (أصول اللغة)

ويقصد بها تلك الموضوعات التي تناولها ابن جني مرتبطة بالانطباق الفلسفي التاريخي للغة، من دون أن تكون مرتبطة استقلالاً بإحدى المستويات اللغة الأربعة؛ وإنما أوردتها كتوطئة وتمهيدٍ ينطلق منه لفهم حقيقة اللغة وكنهها وتاريخها؛ ولهذا لم يتجاوز عدد الأبواب التي طرقت هذا المستوى عن أربعة أبواب؛ دارت حول: تعريف اللغة، ونشأتها، ومراحل وضع اللغة العربية، والعلاقة بين اللغة والدين. وفي أدناه قائمة للموضوعات التي تطرق فيها إلى المستوى الفلسفي التاريخي:

رقم	عنوان الباب	موضوع الباب	رقم الباب	الجزء	الصفحات
1	باب القول على اللغة وما هي؟	أصول اللغة (تعريف اللغة)	2	1	33-31
2	باب القول على أصل اللغة وإلهام هي أم اصطلاح؟	أصول اللغة (نشأة اللغة)	5	1	48-40
3	باب في هذه اللغة أي وق واحد وضع أم تلاحق تابع منها بفارط؟	أصول اللغة (وضع اللغة)	61	2	40-28

²⁰ دوكوري ماسيري، مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني من خلال كتابه "الخصائص". مجلة (جمع) العدد السادس، عام

3102 مجلة علمية محكمة عالمية تصدر في كل أربعة أشهر من جامعة المدينة العالمية في ماليزيا. ص. 41

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

4	باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية	أصول اللغة (اللغة والفكر الدين)	151	3	-245 255
---	---	------------------------------------	-----	---	-------------

2. الموضوعات المتعلقة بالمستوى الصوتي:

يقصد بالمستوى الصوتي: تلك المباحث اللغوية التي تتناول وصف وتحليل الوانب المتعلقة بأصغر وحدة في عملية الكلام البشري (الصوت). وأما في كتاب الخصائص فقد تحدث عن الصوائت (الحركات) وأنواعها ودلالاتها، وكيف يتولد منها حركات أخرى فرعية؟ وتحدث كذلك عن الصوام (الحروف)، والعلاقة بين الحروف والحركات، وعن الإدغام، وعن نظام تركيب اللغة؛ كما سيأتي تفصيل ذلك:

رقم	عنوان الباب	موضوع الباب	رقم الباب	الجزء	الصفحات
1	باب في تدافع الظاهر	نظام تركيب الأصوات	82	2	-227 233
2	باب في مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف	الحروف والحركات العلاقة بينهما	88	2	-315 321
3	باب محل الحركات من الحروف أم معها أم قبلها أم بعدها؟	الحروف والحركات العلاقة بينهما	89	2	-321 327
4	باب الساكن والمتحرك	أقسام الصوت (الحروف والحركات)	90	2	-428 342
5	باب في كمية الحركات	الحركة (أنواع الحركات)	133	3	-120 121
6	باب في مطل الحركات	الحركة مد الحركات	134	3	-121 124

7	باب في مطل الحروف	الحروف بين الصائ والصامت	135	3	-124 133
8	باب في حرف اللين المجهول	الحركة (دالتها)	140	3	-154 157

1. الموضوعات المتعلقة بالجانب الصرفي:

تطرق ابن جني كذلك إلى المستوى الثاني من مستويات التحليل اللغوي بالدرس والمناقشة، لكن ه جعله مرتبطاً بالمستوى الثالث (النحو)؛ حيث جمع الصرف والنحو في تعريف واحد؛ فقال في تعريف النحو: "هو انتحاء سم كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية، والمع والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب... وغير ذلك. وجدناه أن ه تطرق إلى مسائل الصرف في سبعة وعشرين (27) باباً كما في الملاحق.

2. الموضوعات المتعلقة بالجانب النحوي التركيبي:

لقد شغل المباحث النحوية التركيبي في كتاب الخصائص أكبر حيزاً من الصفحات؛ حيث شمل ما لا يقل عن مائة باباً. وباب 101 وهو ما يعادل ثلثي الكتاب؛ وجاء ذلك نتيجة طبيعية للغرض الأساسي الذي من أجله ألف ابن جني هذا الكتاب. لاحظ كما في الملاحق.

خاتمة

مؤلف كتاب «الخصائص» هو «عثمان بن جني» الذي ولد بمدينة «الموصل» سنة «322 هجرية»، حيث نشأ فيها، وتلقى مبادئ التعلم، ليدرس النحو فيما بعد على يد «الاحفش» حيث كان هذا العلم قديماً في الموصل. يحتل كتابه "الخصائص" مكان الصدارة

ابن جنى وجهوده اللغوية في الخصائص

فيها؛ حتى إن ابن جنى لا يكاد يذكر إلا مقرونا بكتابه الخصائص كما يقرن سيبويه "بالكتاب". والحق أن "الخصائص" يمثل علامة متميزة في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب؛ إذ قدم فيه صاحبه منهجا لم يكن معهودا من قبل، وناقش قضايا لغوية لا تزال تمثل عناصر علمية رئيسية في الدرس اللغوي الحديث. وقد أثر هذا الكتاب في العلماء لما بعده جيلا بعد جيل.

المراجع

- الحموي، ياقوت. *معجم الأدباء*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت.
- الراجحي، عبد. *كتاب الخصائص لابن جنى*. انظر في <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=319546>. الوصول إليه ابريل 2016.
- السامرائي، فاضل صالح. *ابن جنى النحوي*. بغداد: دار النذير، 1989.
- جنى، ابن. *الخصائص*، الجزء الأول. القاهرة: المكتبة العلمية، دت
- ، *الخصائص*، الجزء الثاني، القاهرة: المكتبة العلمية، دت
- خلكان، ابن. *وفيات الأعيان وأبناء النعمان*. بيروت: دار الثقافة، 1988.
- سعيد النعيمي، حسام. *ابن جنى عالم العربية*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
- الشربيني، شريدة. *مقدمة الخصائص*. القاهرة: دار الحديث، 2008
- علي، سليمان سالم. *ابن جنى وجهوده اللغوية والنحوية*. يمن: جامعة العلوم والتكنولوجيا، 2010، مشروع خطة بحث تخرج، غير مطبوع ومنشور.

ماسيري، دوکوري. مستويات التحليل اللغوي عند ابن جني من خلال كتابه "الخصائص".
مجلة (مجمع) العدد السادس، عام 2013 مجلة علمية محكمة عالمية تصدر في كل
أربعة أشهر من جامعة المدينة العالمية في ماليزيا.